# مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

# شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص "مرقاة المفاتيح" وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب "الإكمال في أسماء الرجال" وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء الأول

المحتوى
كتاب الإيمان - كتاب العلم

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطَّبعَة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
*Beirut - Lebanon*
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
*Beyrouth - Liban*
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

إِلى الحجاز كما تأرِزُ الحيَّةُ إِلى جُحرها، وليَعْقِلَنَّ الدينُ من الحجاز مَعقِلَ الأُرْوِيَّة من رأس الجبل. إنَّ الدين بَدأ غريباً وسيعود كما بَدأ، فطوبى للغرباءِ، وهم الذين يُصلِحون ما أفسَدَ الناسُ من بعدي من سُنتي». رواه الترمذي.

١٧١ ـ (٣٢) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيأتينَّ على أمّتي كما أتى على بني إِسرائيل

---

**(إلى الحجاز)** هو اسم مكة والمدينة وحواليهما من البلاد وسميت حجازاً لأنها حجزت، أي منعت وفصلت بين بلاد نجد والغور، قيل: التوفيق بينه وبين ما سبق إن سلم أن الدين والإيمان مترادفان أنه يأرز أوّلاً إلى الحجاز أجمع ثم إلى المدينة لأنها مستقرة أوّلاً فعاد إليها لتكون مستقرة آخراً أيضاً، فإن النهاية هي الرجوع إلى البداية ولأن المدينة مغيب النبوّة فتصير مغيب الشريعة. **(كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن)** جواب قسم محذوف، أي والله ليعتصمن **(الدين)** قال ابن حجر: عطف على ليأرز، أو على أن ومعمولها، أي ليتحصنن وينضم ويلتجيء الدين، أبرزه وحقه الإضمار إعلاماً بعظيم شرفه ومزيد فخامته، ومن ثم ضوعفت أدوات التأكيد وأتى بالقسم المقدر. **(من الحجاز)** أي بمكان منه، أو مكاناً منه، يقال: عقل الوعل أي امتنع بالجبال العوالي يعقل عقولاً، أي ليمتنعن بالحجاز ويتخذن منه حصناً وملجأ. **(معقل الأروية)** بضم الهمزة وتكسر وتشديد الياء الأنثى من المعز الجبلي، وهو مصدر بمعنى العقل. ويجوز أن يكون اسم مكان أي كاتخاذ الأروية **(من رأس الجبل)** حصناً، وخص الأروية دون الوعل لأنها أقدر من الذكر على التمكن من الجبال الوعرة. والمعنى أن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام يعود إلى الحجاز كما بدأ منه، وقيل: معناه أن بعد انضمام أهل الدين إلى الحجاز ينقرضون عنه ولم يبق منهم فيه أحد **(إن الدين بدأ)** بالهمز هو الصحيح **(غريباً)** أي كالغريب أو حال **(وسيعود)** أي غريباً **(كما بدأ)** يعني أن أهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يخالطونهم فكذا في الآخر. **(فطوبى للغرباء)** أي أوّلاً وآخراً، وسموا غرباء لعدم تعلقهم بالدنيا وأهلها. **(وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)** أي يعملون بها ويظهرونها بقدر طاقتهم **(رواه الترمذي)**.

١٧١ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي)** الإتيان المجيء بسهولة، وعُدي بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: **﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾** [الذاريات ـ ٤٢] المراد بعض أمة الدعوة إما من أهل القبلة بقرينة كونه أضافهم إلى نفسه، أو مطلقاً فيشمل ملل الكفر أيضاً. **(كما أتى على بني إسرائيل)** فاعل ليأتين مقدر يدل عليه سياق الكلام، والكاف منصوب عند الجمهور على المصدر، أي ليأتين على أمتي زمان إتياناً مثل الإتيان على بني إسرائيل، أو ليأتين على أمتي

---

**الحديث رقم ١٧١:** أخرجه الترمذي ٥/٢٦ حديث ٢٦٤٢ وقال مفسرٌ غريب.

حَذْوَ النَّعل بالنَّعل، حتى إن كان منهم من أتى أمَّه علانيةً، لكانَ في أمَّتي من يصنعُ ذلك. وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقتِ ثنتَين وسبعينِ ملَّةً، وتفترقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين ملة، كلُّهم في النار إلا ملةً واحدةً». قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

---

مخالفة لما أنا عليه مثل المخالفة التي أتت على بني إسرائيل حتى أهلكتهم. وجوّز أن يكون الكاف فاعلاً، أي ليأتين على أمتي مثل ما أتى على بني إسرائيل. **(حذو النعل بالنعل)**حذو النعل استعارة في التساوي، وقيل: الحد والقطع، والتقدير أيضاً، يقال: حذوت النعل بالنعل إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء، ونصبه على المصدر، أي يحذونهم حذواً مثل حذو النعل بالنعل. أي تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة والموافقة كمطابقة النعل بالنعل. **(حتى إن كان منهم)**حتى ابتدائية والواقع بعده جملة شرطية وقوله الآتي: «لكان» إما جواب قسم مقدر والمجموع جواب الشرط، وإما أن بمعنى لو كما يقع عكسه وليست إن هذه مخففة [من المثقلة كما زعم كذا نقله السيد جمال الدين عن زين العرب، وفي الأزهار بكسر الهمزة وسكون النون مخففة]، أي حتى أنه كذا ذكره الأبهري. وهذا الخلاف مبني على أنه هل يجوز حذف ضمير الشأن من إن المكسورة فمنعه ابن الحاجب وجوّزه ابن مالك. **(من أتى أمه علانية)** إتيانها كناية عن الزنا، ويحتمل أن يكون المراد بها زوجة الأب أو موطوءته وسائر من حرمن عليه برضاع أو مصاهرة والأوّل أظهر، لأن الغرابة والاستبعاد فيه أكثر ولذا قيده بعلانية **(لكان في أمتي من يصنع)** أي يفعل **(ذلك)** أي الإتيان **(وإن بني إسرائيل)** يعني النصارى أو أهل الكتاب، قال ابن حجر: أبرز ضميرهم زيادة في تقبيح صنيعهم وبياناً لكون ذلك دأبهم وعادتهم. اهـ. والأظهر أنه أبرز حتى لا يرجع الضمير إلى غيرهم. **(تفرقت على ثنتين وسبعين ملة)** سمى عليه الصلاة والسلام طريقة كل واحد منهم ملة اتساعاً، وهي في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي بل يقال: ملة محمد ﷺ أو ملتهم كذا. ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة، لأنهم لما عظم تفرقهم وتدينت كل فرقة منهم بخلاف ما تتدين به غيرها كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية في التدين فسميت باسمها مجازاً، وقيل: الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة [وهو] قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً، والمعنى أنهم يفترقون فرقاً تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى **(وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة)** قيل: فيه إشارة لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة، ثم قيل: يحتمل أمة الدعوة فيندرج سائر الملل الذين ليسوا على قبلتنا في عدد الثلاث والسبعين، ويحتمل أمة الإجابة فيكون الملل الثلاث والسبعون منحصرة في أهل قبلتنا والثاني هو الأظهر. ونقل الأبهري أن المراد بالأمة أمة الإجابة عند الأكثر. **(كلهم في النار)** لأنهم يتعرضون لما يدخلهم النار؛ فكفارهم مرتكبون ما هو سبب في دخولها المؤبدة عليهم. ومبتدعتهم مستحقة لدخولها إلا أن يعفو الله عنهم. **(إلا ملة)** بالنصب، أي إلا أهل ملة **(واحدة، قالوا: من هي)** أي تلك الملة، أي أهلها الناجية **(يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي»)** أي هي ما أنا عليه وأصحابي، قيل: جعلها عين ما هو

رواه الترمذي.

١٧٢ ـ (٣٣) وفي رواية أحمد، وأبي داود، عن معاوية: «ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة، وهي

---

عليه مبالغة في مدحها وبياناً لباهر اتباعها حتى يخيل أنها عين ذلك المتبع، أو المراد بما الوصفية على حد ﴿ونفس ما سوّاها﴾ أي القادر العظيم الشأن سوّاها، فكذا هنا المراد هم المهتدون المتمسكون بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فلا شك ولا ريب أنهم هم أهل السنة والجماعة. وقيل: التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والقول والفعل فإن ذلك يعرف بالإجماع، فما أجمع عليه علماء الإسلام فهو حق وما عداه باطل.

واعلم أن أصول البدع كما نقل في المواقف ثمانية: المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم وبنفي الرؤية وبوجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة، والشيعة المفرطون في محبة عليّ كرم الله وجهه وهم اثنان وعشرون فرقة، والخوارج المفرطة المكفرة له رضي الله عنه ومن أذنب كبيرة وهم عشرون فرقة، والمرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهي خمس فرق، والنجارية الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق، والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة، والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول فرقة أيضاً، فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية والطريقة النقية الأحمدية، ولها ظاهر سُمي بالشريعة شرعة للعامة وباطن سُمي بالطريقة منهاجاً للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجاً لأخص الخاصة؛ فالأول نصيب الأبدان من الخدمة، والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة، والثالث نصيب الأرواح من المشاهدة والرؤية. قال القشيري: والشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول؛ فالشريعة قيام بما أمر. والحقيقة شهود لما قضي وقدر وأخفى وأظهر، والشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره، والحقيقة شريعة أيضاً من حيث إن المعارف به سبحانه وجبت بأمره. ولله در من قال من أرباب الحال:

ألا فالزموا سنة الأنبياء * ألا فاحفظوا سيرة الأصفياء

ومن يبتدع بدعة لم يكرم * بوجدانه رتبة الأتقياء

**(رواه الترمذي)** أي عن ابن عمر وكذا.

١٧٢ ـ **(وفي رواية أحمد)** أي أحمد بن حنبل **(وأبي داود عن معاوية)** أي بعد قوله: «وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة» **(«ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي**

---

**الحديث رقم ١٧٢:** أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢ وأبو داود ٥/ ٥ حديث رقم ٤٥٩٧.

الجماعة، وإنه سيخرجُ في أُمّتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبِه، لا يبقى منهُ عِرقٌ ولا مَفصِلٌ إلا دخَله».

١٧٣ ـ (٣٤) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يجمعُ أمّتي ـ أو قال: أمّةَ ـ محمد ـ على ضَلالة».

---

**الجماعة)** أي أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره عليه الصلاة والسلام في النقير والقطمير ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير. قال شريح: إن السنة قد سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر، وقال الشعبي: إنما رأيي بمنزلة الميتة إذا احتجت إليها أكلتها، وعن سفيان: لو أن فقيهاً على رأس جبل لكان هو الجماعة. **(وإنه سيخرج)**وفي المصابيح: وزاد في رواية: «وإنه سيخرج» أي يظهر **(في أمتي)** وفي نسخة: «من أمتي» **(أقوام)** أي جماعات **(تتجارى)** بالتاءين، أي تدخل وتجري وتسري **(بهم)** أي في مفاصلهم **(تلك الأهواء)** جمع هوى وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه، والمراد هنا البدعة فوضعها موضعها وضعاً للسبب موضع المسبب لأن هوى الرجل هو الذي يحمله على إبداع الرأي الفاسد أو العمل به وذكر الأهواء بصيغة الجمع تنبيهاً على اختلاف أنواع الهوى وأصناف البدع يقال: تجاروا في الحديث إذا جرى كل منهم مع صاحبه. **(كما يتجارى الكلب)** بفتحتين، داء مخوف يحصل من عض الكلب المجنون ويتفرق أثره **(بصاحبه)** أي مع صاحبه إلى جميع أعضائه، أي مثل جري الكلب في العروق **(لا يبقى منه عرق)** بكسر العين **(ولا مفصل إلا دخله»)** فكذلك تدخل البدع فيهم وتؤثر في اعضائهم، قيل: الكلب داء يعرض للإنسان من عضة الكلب الكِلب، أي المكلوب وهو المجنون فيصيبه شبه الجنون ولا يعض المجنون أحداً إلا كلِب، أي جن ويعرض له أعراض رديئة تشبه الماليخوليا مهلكة غالباً ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً، وأجمعت العرب أن دواءه قطرة من دم يخلط بماء فيسقاه.

١٧٣ ـ **(وعن ابن عمر)** [رضي الله عنهما] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي، أو قال: أمة محمد على ضلالة)** قال المظهر: في الحديث دليل على حقية إجماع الأمة، قيل: قوله «أو قال أمة محمد» شك من الراوي ولعل هذا أظهر في الدراية منها لدلالته على أن يكون المنسوب إليه من اسمه محمد يقتضي[1] هذه الفضيلة التي امتازت بها أمته عن سائر الأمم، وقال ابن الملك: المراد أمة الإجابة، أي لا يجتمعون على ضلالة غير الكفر، ولذا ذهب بعضهم إلى أن اجتماع الأمة على الكفر ممكن بل واقع إلا أنها لا تبقى بعد الكفر أمة له، والمنفي اجتماع أمة محمد على الضلالة وإنما حمل الأمة على أمة الإجابة لما ورد أن الساعة لا تقوم إلا على الكفار، فالحديث يدل على أن اجتماع المسلمين حق، والمراد إجماع العلماء ولا عبرة بإجماع العوام لأنه لا يكون عن علم. وقال الأبهري: قوله: «على ضلالة» أي على

---

**الحديث** رقم ١٧٣: أخرجه الترمذي ٤/ ٤٠٥ حديث رقم ٢١٦٧.

(١) في المخطوطة يقتضي.